# العنف:الوجه الآخر للعولمة
## مقاربة سوسيولوجية تحليلية لظاهرة العنف في ظل العولمة

أ. ماجدة حجار
المركز الجامعي بالطارف

**مدخل:**

بدأ العالم ، منذ نهاية القرن 20 م ، يتفاعل مع العولمة بمنطقين:إما كظاهرة جديدة لم يألفها في السابق أو أنها كانت موجودة و غلفت بأطر جديدة ، و تحت تسمية حديثة ، و بأطر هذه الظاهرة يتحدث الكثيرون عن تسهيل حركة الأفراد و المعلومات و السلع بين الدول ، و عن أرض بلا حدود و سوق بلا حدود، و ثقافة بلا حدود ، أي لا وطن و لا دولة ولا أمة ، وتغيرت بذلك التركيبة الإستراتيجية للعالم جذريا وفق معادلة دولية واضحة المعالم و الأبعاد تحت غطاء ظاهرة العولمة أو الليبرالية الجديدة التي فرضت نفسها على الحياة المعاصرة على جميع الأصعدة سياسيا ، اقتصاديا ، فكريا و علميا ، ثقافيا وإعلاميا ، تربويا و تعليميا ، و هي بذلك من الموضوعات التي تحتاج معالجتها

إلى قدر كبير من الفهم لعمقها و جوهرها و الإدراك لبعدها و غايتها و الوقوف على ما تنطوي عليه السياسات التي تتحكم فيها و تقودها و تدعو إليها و تمهد للتمكين لها بشتى الطرق و بمختلف الوسائل. فلقد كان لانهيار المنظومة الاشتراكية دور في ترسيخ الفكر الليبرالي وتربع الرأسمالية على المسرح العالمي بغير منافس و ظهور مقولات مستحدثة ، و مفاهيم جديدة تسيطر على الفكر السائد في العالم كله .

و لقد حاول منظرو الرأسمالية في مطلع التسعينات ترويج مقولة ديماغوجية مفادها أن الرأسمالية التي دخلت مرحلة العولمة هي الخيار الوحيد للبشرية و تطورها الحضاري لأنها ستحقق الأمن و الاستقرار و الازدهار الاقتصادي - الاجتماعي كونيا في ظل انتهاء مرحلة الصراع الإيديولوجي عالميا خاصة أن الفكر الماركسي الطبقي و بناء الاشتراكية قد أنهوا رسالتهم التاريخية بالفشل الذريع . و قد بنى منظرو الفكر البرجوازي الإمبريالي أمثال فوكوياما و برجينسكي و غيرهما آراءهم النظرية بأبعادها السياسية في خدمة النظام الرأسمالي العالمي بناءا على عاملين أساسيين كانا بمثابة الخلفية الرئيسية لبلورة الطابع و المفهوم العصريين لظاهرة العولمة بمكوناتها و مدلولاتها الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية و الثقافية و يتمثل هذين العاملين في :

العامل الأول: دخول العالم و خصوصا البلدان الصناعية الرأسمالية المتطورة في مرحلة الموجة الثالثة من الثورة العلمية التقنية منذ مطلع التسعينات و هي الثورة المعرفية و تكنولوجيا الاتصال و المعلوماتية التي استطاعت أن تجمع أجزاء العالم في وحدة جديدة يلغى فيها المكان و الزمان. فالرأسمالية بفضل هدا التطور العلمي الالكتروني انتقلت إلى مرحلة نوعية جديدة في تعاملها مع العالم بوصفه بنية موحدة، و هي اليوم بنية الأسواق المالية المتشابكة

و رؤوس الأموال المعولمة و الاستثمارات الكبيرة المدولة، و حولت العالم إلى قرية صغيرة يتحكم فيها عدد من الشركات العابرة

للقارات التي تلغي الحدود بين الدول، وتملك من القدرات و الإمكانات ما يجعلها تسيطر على العالم بأسره و تنقل له ثقافتها الليبرالية الجديدة أو بالأحرى المستحدثة .

العامل الثاني: بانهيار و تفكك الاتحاد السوفياتي والأنظمة الاشتراكية في أوروبا الشرقية في مطلع التسعينات اجتاز العالم الرأسمالي مرحلة تمركز الإنتاج و الاستقطاب من اجل التوسيع في إطار الثنائية القطبية، و انتقل إلى مرحلة سيادة العولمة و تعمقها لتصبح السمة المركزية للمنظومة الرأسمالية العالمية التي تقودها و تحدد مسارها الولايات المتحدة الأمريكية حيث يقول الدكتور حسن حنفي أن العولمة هي الماركة المسجلة و الاسم الحركي للأمركة و هذا يعني أن قوة و انتشار اتجاه العولمة الذي تدعمه الحكومة الأمريكية و النخبة السياسية و الإعلامية النافذة في واشنطن إلى جانب الشركات الجبارة المتعددة الجنسيات هي التي تسيطر الآن على تشكل و بنية العولمة، فهذه الأخيرة هي نتيجة لسياسات و أرادات الحكومات و برلمانات الدول التي وافقت و وقعت على القوانين و الاتفاقيات التي تلغي الحدود و تحرر حركة السلع و الخدمات و رؤوس الأموال في الأسواق العالمية و تستهدف إشاعة قيم أسلوب الحياة الأمريكية و تسييدها و طرح فكرة التجانس لتكون مصاحبة لمفهوم شموليتها وفي عدة اتجاهات هي:

1- توجهات لتجانس سياسي( إقامة الديمقراطية) على مستو دول العالم كافة.

2- مساع لتجانس اجتماعي( حرية التنقل) للجميع و بين كافة الدول مع تأمين أفضل لحقوق الإنسان.

3- اتجاهات لتجانس ثقافي( المعلومة لمن يريدها من الأفراد في كافة الأوقات ولجميع المجتمعات).

و في هذا الإطار فان نزعة التمركز حول الذات انتقلت من النزعة الأوروبية إلى النزعة المركزية الأمريكية و هي في الواقع ليست سوى محاولة لتمدد و إشاعة مفهوم السلام الأمريكي(1) الذي هو متجذر في السياسة والثقافة الأمريكية مند قيام الولايات المتحدة و هذا ما صرح به منذ سنوات الرئيس الأمريكي السابق "روزفلت" حين قال أن " قدرنا هو أمركة العالم بهدوء"(2) باعتبار أن أمركة العالم هي كما يراها مروجوها الترياق الشافي من كل داء و الذي يجلب السعادة و الهدوء عندما ينتهي الأمر ببلوغ البشرية مرحلة الحرية الكاملة لانتقال الأفكار و المعلومات و الاتجاهات و القيم على الصعيد العالمي .

و تسعى العولمة (الأمركة) حثيثا إلى تذويب الحدود بين الدول و سهولة حركة الناس و المعلومات و السلع و رؤوس الأموال و الاستثمارات المباشرة و التكنولوجيا بين الدول لتحسين الأداء الاقتصادي العالمي و تسخير كل الوسائل الممكنة لبلوغ هدفها، لكن العولمة بطابعها و جوهرها و مدلولها غير قائمة على قواعد و مبادئ العدل و المساواة ، فجوهر الرأسمالية و سياستها وأهدافها الطبقية و القائمة على الاستغلال و التمييز بهدف تغذية مصالحها الأنانية و تكريس الأرباح، جعل من العولمة عملية تجري في إطار التناقض الصارخ في المصالح بين محاور الإمبريالية التي تشمل البلدان الرأسمالية الصناعية مالكة الثورة العلمية التقنية الحديثة و إنجازاتها المستثمرة (أمريكا)، وبين أطراف الرأسمالية من البلدان النامية الفقيرة المحرومة من إنجازات هذه الثورة العلمية ومن إمكانيات استثمارها في تطوير اقتصادها الوطني و إخراجها من هاوية الفقر و التخلف، فالعولمة في مظهرها الأساسي تكتل اقتصادي

للقوى العظمى فهي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها و تحت سيطرتها و في ظل سيادة النظام العالمي للتبادل غير المتكافئ ، و العولمة في المركز تعني الانتقال إلى الاستثمار المباشر الأجنبي في مجتمعات الأطراف ودولها و اقتصادياتها و التجارة في كل شيء بشروط تفضيلية للطرف الأقوى و بذلك يكون للعولمة قدرات استثنائية للتغلغل والتأثير على باقي شعوب العالم و حكوماتها حتى القوية منها، وما جاء في كلمة الرئيس الفرنسي جاك شيراك يؤكد النوايا الحقيقية التي تسعى أمريكا إلى تحقيقها في إطار ظاهرة العولمة حيث قال "إن العولمة بحاجة إلى ضبط لأنها تنتج شروخا اجتماعية كبيرة ،و هي و إن كانت عامل تقدم، فهي تثير أيضا مخاطر جديدة ينبغي التفكير فيها جيدا، ومن هذه المخاطر ثلاثة: أولها أنها تزيد ظاهرة الإقصاء الاجتماعي و ثانيها أنها تنمي الجريمة العالمية، و ثالثها أنها تهدد أنظمتها الاقتصادية"(3).

من هذا المنظور يبدو لنا إن هناك ضرورة لإعادة طرح بعض الأسئلة قصد تعميق البحث حول هذه الظاهرة و تتمثل فيما يلي:

1- هل يمكننا الحديث فعلا عن إمبراطورية الفوضى و العنف التي أصبحت تجسدها واقعيا ظاهرة العولمة؟

2- هل هناك علاقة إرتباطية عضوية بين كل من ظاهرتي العولمة والعنف ؟

3- ما هي أشكال العنف التي أعادت إنتاجها بشكل أو بآخر ظاهرة العولمة في المجتمعات الحديثة؟

**أولا: في تأصيل العلاقة بين العولمة و العنف.**

العنف ظاهرة كونية عرفتها البشرية عبر مختلف المراحل التاريخية بدءا بأول حادثة عنف ألا و هي حادثة "هابيل و قابيل" وصولا إلى أشكال العنف

المنظم الذي تقف وراءه هيئات و مؤسسات. و لم تعد مشكلة العنف و القوة مسألة خاصة بفئات محددة أو في أماكن أو حتى في مجتمعات محددة، و إنما تنبع من ثقافة تطورت مع تطور البشرية إلى أن أصبحت في عصرنا الحالي تشكل ظاهرة مركبة و معقدة جعلت استمرار هذه الظاهرة يتحول من مجرد وسيلة للتأديب و التربية في بعض مستوياتها إلى ثقافة تقدمت فيها لغة اللكمة على لغة الكلمة، و من هذا المنظور فان نظرة سريعة لما يجري حولنا اليوم وفي نقاط عديدة من العالم، يكشف بما لا يدع مجالا للشك و اللبس أن الإنسانية تمر بمنعرج خطير في ظل ترسيخ قيم العولمة التي ساهمت بصورة مباشرة أو غير مباشرة في إنتاج و إعادة إنتاج شكل أو أشكال جديدة من العنف، بل ارتبط بعض منها بنظام العولمة نفسه و أصبح الحديث عن "عنف العولمة" و "عولمة العنف"، و أصبحت لغة العنف و الغلبة هي اللغة المستخدمة بكثرة، بل لقد هيمن عقل القوة على قوة العقل، و أصبح منطق التهديد المصاحب لعقلية الظلم و الاعتداء المفضوحين، إن محليا أو إقليميا أو دوليا، هو المرجع الوحيد لمعالجة القضايا المصيرية لشعوب العالم و أنظمتها.

و مما لا شك فيه أن التطور التكنولوجي و العلمي الذي يتجسد خاصة في الاتصال عن بعد و في استخدام نظام المعلوماتية و الميلتي ميديا (الإعلام المتعدد الوسائط)، و خاصة شبكة المعلومات العالمية- الانترنت- قد ساهم في توحيد نمط العيش و إقحام الدول إقحاما في هذا النظام الاقتصادي العالمي الذي سيصاحبه بطبيعة الحال تغير في جميع الأنظمة السياسية و الاجتماعية والثقافية...الخ، مما يؤدي إلى ظهور أشكال و ممارسات عنيفة مستحدثة لها تأثير بالغ على استقرار و توازن المجتمعات البشرية.

و لقد أصبح اليوم من الصعب الحديث عن العنف كظاهرة مجتمعية اجتماعية في غياب الأرض الحاضنة لها و هي العولمة التي أصبحت واقعا

فرض نفسه على جميع الدول و المجتمعات، حيث يقول كل من Cooper وLaing في كتابهما المشترك العقل و العنف " انه من اجل الضرورة و القابلية الذهنية للعقل الجدلي، لا مناص من ربط بالتجربة في كل حالة، و لا يمكن أن يتم ذلك إلا بشكل جدلي...يبدو الجدل قوة إيحائية لأي مراقب من داخل المنظومة (السستام) " (4). حيث تبدو العلاقة بين العقل الجدلي و الواقع، بين الرؤية من داخل منظومة فكرية أو من خارجها ضرورية جدا لاكتشاف البعد العالمي لأية ظاهرة و إمكانية متابعتها كاحتمال وارد خارج حدود الزمان والمكان النسبيين.

و لذلك كان لا بد من مقاربة العلاقة العضوية بين العولمة و العنف بعد أن أصبح هذا القرن شاهدا على قفزة كمية و نوعية لكل أشكال العنف لم يسبق لها مثيل.

**ثانيا أشكال العنف المستحدثة في ظل العولمة:**

**1- على الصيد السياسي:**

من المفارقة البارزة على ساحة العولمة أنها جاءت تتويجا لإدخال التكنولوجيا الإلكترونية ميدان الإنتاج و تحقيق الوفرة المادية، و نشر قيم إنسانية جديدة مثل التسامح، و الدفاع عن حقوق الإنسان أينما كان و الاعتراف بهوية الآخر و ثقافته من جهة، و التكامل و الاتحاد، و التحام الشعوب على اختلاف ألوانها، و لغاتها، و ثقافتها . لكن سرعان ما كشفت عن الوجه الآخر حين اشتد جبروت أمريكا و انهارت مقولة "نهاية التاريخ" إذ تزامن ظهور العولمة مع بروز ظاهرة التفكك والانقسام و الحروب و ارتفاع الخط البياني لمعدلات العنف بكل أشكاله و انتشار فوضى أمنية و اقتصادية شاملة تجتاح العالم، وإعادة تشكيل خرائط جديدة لا تأخذ في عين الاعتبار الخصائص المادية والروحية للشعوب المعنية و هذا ما جعل المفكر الفرنسي " آلان فينيكيا لكروات" يصفها

ب (عدوة العالم) (5) و خصوصا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 التي ضربت رموز العظمة الأمريكية(مركز المال و الأعمال و الدفاع) و الذي أعلن الرئيس الأمريكي جورج والتر بوش على مسمع و مرأى العالم كله قائلا "من ليس معنا فهو ضدنا"، و حاولت البراغماتية الأمريكية استثمار هذه الأحداث المروع لخدمة مصالحها و تم توظيفها بسرعة كوقود لمحرك قاطرة العولمة و استبدلت المفاعيل السياسية- الاقتصادية المدعومة بالقوة العسكرية بالقوة العسكرية المجردة لا لشيء سوى لاختصار الزمن الذي لم يعد يحتمل الانتظار، و بدأت كتابة جديدة للتاريخ فرضها تداعي الأحداث و تسارعها و تفرد القوى اللاعبة فيها، فأعلن بوش يوم 20-09-2002 عن إستراتيجية أمنية جديدة تعرف بمبدأ بوش(6) المتمثل في الحرب على الإرهاب و الانتقال من الدبلوماسية الناعمة وسياسات الردع و الاحتواء التي ميزت الفكر الاستراتيجي الأمريكي خلال سنوات الحرب الباردة إلى زمن القوة و سياسات الحروب الوقائية التي تستهدف ما تطلق عليه أمريكا الإرهاب الدولي و الدول المارقة و دول محور الشر و أخيرا مشروع الشرق الأوسط الكبير كسياسة جديدة للولايات المتحدة الأمريكية و الذي يمتد من المغرب إلى آسيا الوسطى و يقوم على إستراتيجية "الفوضى البناءة". و بالتالي أصبحت العولمة (الأمركة) تمارس العنف و تساهم في خلق أشكال جديدة له.

وتتجلى ملامح هذه الإستراتيجية بوضوح فيما يسمى ، أحيانا، بسيناريو مقتل رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري ، الذي دفع بمجلس الأمن الدولي تحت تأثير مباشر من الولايات المتحدة ومن يسير في فلكها من الدول الغربية وإسرائيل إلى اعتبار الحادث جريمة دولية وليس مجرد مشكل داخلي . الأمر الذي جعله يستصدر قرارا بتاريخ 2005/4/7 ، تحت رقم 1595. وكلف بموجبه القاضي الألماني ديتليف ميليس بتولي التحقيقات في هذه الجريمة التي

راهنت أمريكا وحلفاؤها عليها لكسب مواقع جديدة تمكن من إعادة رسم الخريطة الجيو- سياسية في المنطقة.

وهكذا تم وضع جريمة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري في إطار غطاء دولي، بغية الوصول من خلال سلسلة التحقيقات الدولية المزعومة إلى استنتاجات مبطنة ، تخفي وراءها ، ليس فقط أسرار الجريمة ، ولكن غايات أخرى تتمثل في إعادة ترتيب البيت الإقليمي للشرق أوسط العربي، وخاصة بعد سلسلة التغيرات في العالم قاطبة، وفي الوطن العربي منه خاصة.وتعتبر كل من وليبيا والعراق مثالان حيان على هذه الإستراتيجية المبيتة .

ومن هنا انتهجت الدول التي ترعى هذه الجرائم البشعة ، سياسات إرهابية للتخلص من الأشخاص غير المرغوب فيهم، بل المغضوب عليهم في المنطقة العربية وبالخصوص قادة النظام السوري وحزب الله في لبنان وحماس في فلسطين والنظام الإيراني. وهم الذين يشكلون لأمريكا ولزبانيتها في المنطقة ولحلفائها حجر عثرة في سبيل تحقيق أغراضها في جشعها وطغيانها وجبروتها.

ومما يدل على الصيغة العدوانية التي اتخذتها العولمة ما صرح به رئيس الوزراء البريطاني Tony Blair في 14-04-1999 حين قال : "إننا لا نحارب من اجل أراض، ولكن من اجل قيم، عالمية جديدة ، حيث لا يسمح بالقمع المتوحش للمجموعات العرقية، و حيث لا يمكن للمسئولين عن مثل تلك الجرائم أن يجدوا مكانا يختفون فيه" (7) .

ومما يدل على أن هذه الإستراتيجية مبيتة ومخطط لها وهادفة إلى حد صارت تشكل في إستراتيجية صقور البيت الأبيض لبسط نفوذهم ، ليس على المنطقة العربية فحسب ، بل لتأمين عملية إعادة رسم الخريطة الجيو- سياسية على الصعيد العالمي . وقد عبر عنها الرئيس الأمريكي الحالي في أكثر من

مناسبة ، منتهجا في ذلك أسلوب التضليل والمراوغة لإبعاد الشكوك التي قد تحوم على مشروعه بأسماء مختلفة : مرة باسم محاربة الإرهاب الدولي ، ومرة باسم الحرية والديمقراطية ، ومرة باسم السلام العالمي ...إلخ .

فالنظام العالمي الجديد الذي تسعى أمريكا لإقراره طواعية أو كرها سيكرس ، في نظره ، حلم (السلام الجماعي) عبر تفعيل دور هيئة الأمم المتحدة، لكن الأحداث الدامية في جهات عديدة من العالم قوضت هذه الحلم المنشود و لعل أهم هذه الأحداث:

- الحرب الأهلية بين الصرب و الكروات.
- الأزمة اليوغسلافية في جنوب شرق أوروبا.
- الحرب العرقية بين أقاليم البوسنة و الهرسك.
- الحرب الأهلية في الصومال و رواندا و السيراليون و مناطق عديدة في إفريقيا بلغ فيها العنف العرقي حدا غير مسبوق، حيث شهدت القارة الإفريقية خلال السنوات الأخيرة ما يزيد عن 20 نزاعا داخليا أدى إلى انفصال كيانات شكلت بدورها دولا مستقلة بذاتها (مثل أرتريا) و تفكك وحدة أقطار عديدة كالصومال و الكونغو الديمقراطية.

-ظهور الدعوات الانفصالية في الصين و الهند و كذلك مسلمو الكشمير.

- الدعوة الانفصالية بروسيا في منطقة الشيشان.
- نمو الاتجاهات القومية في إسبانيا و في المناطق المتقدمة و الدعوات الانفصالية عن الأقاليم الفقيرة.
- رابطة لومباردا في إيطاليا تطالب بالانفصال عن الجنوب الفقير...الخ

و بؤر التوتر هذه ما هي إلا تعبير عن تبدل المعادلة الأمنية و تغير شروط و أسباب التنازع و الحروب حيث أن"العالم أصبح أصغر من الماضي، كما يحب الناس أن يرددوا، و لكن أجزاءه تتباعد و لا تتقارب، و الواقع أنه في

الوقت الذي تقترب فيه الاقتصاديات المختلفة من بعضها البعض، فان الأمم ومناطق الجوار تتفرق"(8).

ولقد تزايدت الحروب المدمرة في أكثر من 50 منطقة في العالم، وتواكبها حركة عنف شامل داخل المدن الصناعية الكبرى بما فيها نيويورك، باريس، لندن و طوكيو....الخ و التي طرحت العديد من الإشكاليات التي تنعكس سلبا على مستقبل الأوضاع الأمنية العالمية في مواجهة ما أطلق عليه Delmas (المستقبل الجميل للحرب) حيث بين كيف أن النظام السابق القائم على الثنائية القطبية قد نجح في احتواء الحروب من خلال آليين مترابطتين متمثلان في:

1-توازن الرعب النووي الذي جعل الحرب حدا أقصى ينذر بالدمار الجماعي، و بالتالي حكم بتلازم مصير البشرية ، وولد نمطا من التضامن الضمني بين الخصوم،نشأت عنه قسمة للعالم و أساليب لتسيير التناقضات بين القوى الفاعلة فيه.

2-الهيئة الأممية التي كرست مرجعية قانونية و إيديولوجية للعلاقات بين الأمم، هدفها الأساسي هو حفظ السلام و الحد من النزاعات و الحيلولة دون انتشار العنف.

إلا أن المتغيرات الدولية الجديدة قوضت فاعلية هاتين الآليتين وأصبحت السمة المميزة للحروب الجديدة هي كونها تتم خارج السياق التصادمي بين الدول، بل تتم داخل حدود الدول القطرية ذاتها و بين مكوناتها القومية والقبلية، أو بين مجموعات تنتمي لتكتلات عالمية عابرة للحواجز و الحدود الوطنية، وهذا راجع أساسا لإستراتيجية العولمة التي عملت على إخراج كل من الديناميكيتين الاقتصادية و الاجتماعية عن الرقابة المباشرة للدول(9)

و قد نبه إلى ذلك الكاتب الأمريكي Alvin Toffler في كتابه(السلطة الجديدة) إلى أن ديناميكية العولمة بالرغم من أنها تلغي الحواجز بين جميع

أنحاء العالم و تقربها من بعضها فإنها تهدد في الوقت نفسه الكيانات الوطنية أو بمعنى آخر تهدد نموذج الدولة - الأمة.

وفي بداية التسعينات أكد الرئيس الأمريكي السابق Clinton أن أمريكا قد بدأت في انتهاج إستراتيجية جديدة و بديلة أطلقت عليها: سياسة الحرب الوقائية la politique de la guerre preventive و هي تعني التدخل الأحادي المباشر لأمريكا للدفاع عن مصالحها الحيوية، و هناك وقائع عديدة يتجلى من خلالها التطبيق الفعلي لهذه السياسية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 - إعلان الحرب ضد العراق إثر اجتياح حكومة بغداد منطقة الكويت سنة 1990 حيث كانت أمريكا تقود الحرب سياسيا و عسكريا وعملت على إخراج القوات العراقية من الكويت، و فرضت عليها شروطا قاسية، و أحكمت على شعبه طوقا من الحصار، كانت إحدى نتائجه رسالة للعرب و المسلمين في أن لا يتجاوزوا حدودهم المقننة في التعامل إقليميا و دوليا، ورسالة تنبيه إلى بعض الدول باستحالة أن تعتمد الدولة-الأمة بمفهومها التقليدي على ذاتها كليا لتأمين مقتضياتها الدفاعية الأمر الذي يلزمها أن تتجه إلى التحالف مع أطراف أخرى و إن كانت مجبرة و رسالة تحذير لباقي دول العالم في أن لا يحذو حذو العراق، و أن يساير القوة الفاعلة لأمريكا و قدرتها غير المحدودة للتأثير على الأحداث و قيادة العالم.

2 - كذلك الأمر بالنسبة ليوغسلافيا عام 1999 حين قام ميلوزيفيتش بإلغاء مكاسب في الإدارة الذاتية لسكان إقليم كوسوفو ذي الغالبية المسلمة، ومساهمته في إثارة بؤرة توتر في البلقان بهدف إعادة رسم الخرائط في المنطقة، فكان الحشد الأطلسي بقيادة أمريكا متفوق على اليوغسلاف، و كانت نتائج الحسم السريع له رسائل غير مباشرة لسكان المنطقة المسلمين في أن يقبلوا التعايش مع الآخرين في الدول القائمة، ولحكامها المعنيين في أن يسلموا بدور

الأطلسي وأمريكا (التجليات العسكرية للعولمة ) في منطقتهم، و لبقية شعوب العالم في أن النظم الديكتاتورية كما هو الحال في يوغسلافيا ميلوزيفيتش قد انتهت لتحل الديمقراطية كخطوة للعولمة السياسية التي تقودها أمريكا ولو بإجراءات عسكرية.

3-الضربات الصاروخية التي وجهت لأفغانستان سنة 98 و مصنع الشفاء في السودان إثر تفجير سفارتين أمريكيتين في إفريقيا الشرقية، ثم حرب الاستنزاف الموجهة ضد العراق في ديسمبر 1998.

و قد أكد الرئيس ذلك في خطابه في 19 جانفي 1999 عندما تعهد بأن قوات بلاده ستتدخل بصفة منفردة كلما دعت الحاجة إلى ذلك لحماية مصالحها و إطفاء بؤر التوتر و حل الأزمات الدولية المستعصية في السياق ذاته، و ضاعفت الحكومة الأمريكية الميزانية المخصصة للدفاع و من المتوقع أن تصل إلى 331 مليار دولار في سنة 2005(10).

و بالتالي كان نهج العنف و الاستبداد أحد الإجراءات التي انتهجتها و مازالت تنتهجها أمريكا بحق من سيقف أمام عجلة مسيرة العولمة و هذا ما ينفي الرغبة في التلاحم و العيش المشترك في عالم بدون حدود جغرافية و أثار هذه التدخل الأمريكي في الشؤون السياسية و العسكرية لمعظم بلدان العالم ردود أفعال عنيفة و أجج نار الكراهية و تصاعد عمليات الإرهاب العالمي و الجريمة و خير دليل على رفض هذه الدول تدخل أمريكا في إدارة مصالحها هوأحداث 11 ديسمبر2001.

و شرعت أمريكا بعد ذلك في تطبيق سياسة إجرائية خاصة أطلقت عليها (national security strategy of the united states, nss) (11) في شهر سبتمبر 2002 و التي بموجبها أعطت لنفسها الشرعية للتحكم و القضاء على أي دولة يمكن أن تهدد مستقبلا المصالح الأمريكية

وكان العراق أول من استهدفته هذه السياسة الأمريكية الجديدة متذرعة في ذلك بأنها ستقضي على انتشار التطرف الإسلامي و عمليات الإرهاب، وإضعاف دعم المقاومة الفلسطينية و إجبار الفلسطينيين و العرب لقبول مخطط السلام الذي تقترحه. و تواصل أمريكا إلى حد اليوم باحتلال العراق بالرغم من أن مصاريف هذا الاستعمار تقدر ب 60 مليار دولار في العام و عائدات البترول لن تغطي هذه المصاريف إلا بعد سنوات عديدة. كما انتقلت بعد ذلك إلى تهديد سوريا بحجة أنها تساند القضية الفلسطينية و حزب الله اللبناني و تخفي الأسلحة النووية التي صنعت في العراق، و كذلك المملكة العربية السعودية لأنها تساند الفلسطينيين و الحركات المتطرفة الراديكالية الإسلامية و تمويلها للجرائم التي ارتكبت ضد أمريكا في 11 سبتمبر 2001

وهكذا وجدت الدولة العربية القطرية ذاتها تترنح تحت وطأة الضغط من الخارج و الداخل، و لا تكترث العولمة بما تعانيه الدولة القطرية و هي غير معنية بإيجاد المخرج و الحلول لها بقدر ما هي معنية بتدميرها و تصفيتها، خصوصا بعد أن أصبحت مرتع خصب لنمو الحركات العنيفة و النزعات الأصولية و في هذا الصدد تقول وثيقة إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي لسنة 2002 أن أمريكا الآن ليست مهددة من قبل دول منتصرة و غازية بمقدار ما هي مهددة من قبل دول مفلسة و مخفقة، لكن ما يهم العولمة هو إرساء البديل لتلك الدول(12).

**2- على الصعيد الاقتصادي-الاجتماعي:**

أما اقتصاديا، و انطلاقا من فاصل المشهد العالمي اليوم، يتبين لنا بجلاء، دون مواربة أن النظام العالمي الجديد و العولمة الاقتصادية ساهمت في تعميق الهوة بين الشمال و الجنوب من خلال استقطاب جديد يهمش الدول النامية ويقضي على آمالها في اللحاق بركب التقدم الاقتصادي، و يكفي أن نذكر على

سبيل المثال لا الحصر الفقرة(301) من القانون الأمريكي بشأن التجارة و التي تسمح بفرض عقوبات على الدول التي ترفض فتح أسواقها أمام المنتجات الأمريكية، و قد عملت الولايات المتحدة جاهدة لتضمين هذه الفقرة في بنود اتفاقية الـ GATT و هي بذلك تطبق دبلوماسية الأثداء المخدرة(13) حسب تعبير زبجنيو برجنسكي .

وفي ظل هذا المنحى الجديد الذي يقوم على مبدأ الخمس الثري و أربعة أخماس الفقراء ظهرت أشكال جديدة للاستغلال و النهب و تعميق التبعية والتخلف للدول النامية التي انهار اقتصادها و تزايدت ديونها الخارجية و نذكر على سبيل المثال أزمة المكسيك سنة 1995 و أزمة النمور الآسيوية سنة 1997، وارتفعت معدلات البطالة بها نظرا لافتقارها لعناصر القوة ووسائل النهضة الاقتصادية مما جعلها تقع فريسة لعولمة الفقر. و هذا يعتبر شكل جديد من أشكال العنف التي تمارسها العولمة بكل حرية في ظل نظام دولي جديد لم تكتمل حلقات تكونه الحاسمة، فالشمال ينعم بالرخاء والرفاه و الجنوب يكابد الفقر و الحرمان، و قد جاء على لسان المفكر الفرنسي جورج لابيكا "أن هدف العولمة سحق هوية مواطني العالم بأسره و خلق نسخ مكررة و استهلاكية تغذي الرأسمالية العالمية و تهمش كل من لا يخضع لنظام العولمة الأمريكية"(14)، و نذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض المعطيات التي تعكس لنا الطابع الوحشي للعولمة و مآسيها:

* "خلفت العولمة إلى حد الآن تكدسا بأيد قليلة من الأثرياء جدا، فحسب مجلة Forbes تتجاوز ممتلكات ال450 أكبر ثري في العالم قيمة الإنتاج القومي الخام الإجمالي ل 52 ٪ من سكان الكرة الأرضية، أي كل البلدان المتخلفة مجتمعة.

* حسب معطيات الأمم المتحدة يبلغ عدد سكان البلدان النامية في آسيا و إفريقيا و أمريكا اللاتينية 4،6 مليار نسمة، من بينهم 826 مليون نسمة لا يجدون الطعام الكافي، و 850 مليون إنسان أمي و 1 مليار إنسان لا يجدون مياه الشرب النقية و 4،2 مليار نسمة محرومون من الضمانات و الصرف الصحي، و325 مليون طفل محروم من التعليم و أكثر من 2،1 مليار لا يجد منهم الفرد دولارا واحدا ليصرفه يوميا.

*في القارة الإفريقية لوحدها أكثر من 16 مليون فرد يعاني من الجوع ومقابل هذه الصورة المأسوية فان الوحوش الكاسرة من الشركات متعددة الجنسية تفترس البلدان النامية و خيرات العالم، فحسب معطيات سنة 2002 فان 40٪ من المبادلات التجارية عالميا تقوم بها هذه الشركات و هي تمتلك 44٪ من قيمة الإنتاج العالمي فيما تبلغ حصة إفريقيا و الشرق الأوسط و أمريكا اللاتينية 6،4٪ من مجمل النتاج العالمي، و حسب معطيات البنك الدولي فان حجم الواردات و الصادرات للبلدان النامية في انخفاض مستمر حيث انخفض من 7،6٪ عام 1993 إلى 9،1٪ عام 2004.

* الخمس الأكثر فقرا في العالم كان يملك 3،2 ٪ من الموارد المالية في عام 1969 و 5،1٪ في عام 1989 و 1،1٪ عام 1994 و في التواريخ نفسها فان الخمس الأكثر ثراء كان يملك 96٪ من الموارد المالية عام 1969 و 28٪ عام 1989 و 68٪ في سنة 1994.

* يشهد الناتج المحلي الإجمالي العربي في المجالات المالية والاقتصادية تراجعا إذ أكدت مسودة التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة 2002 م أن نسبة التراجع قد بلغت رقما قدره (9،1٪) سنة 2001م بفعل عوامل انخفاض أسعار النفط و كمياته المنتجة فعليا في الدول العربية، حيث تراجعت

تبعا لذلك العائدات المالية لديها من (193) بليون دولار، إلى حوالي (152) بليون دولار"(15).

و هذه أدلة وافية على أن العالم مازال لحد اليوم خاصة مع تسارع وتيرة العولمة يعاني من الفقر و تزايد عدد الفقراء و معدلات البطالة زيادة كبيرة نتيجة لعدم التوزيع المتكافئ للثروات و المكاسب العالمية، الأمر الذي أدى إلى عولمة الفقر في البلدان النامية، و هذا ما يؤكده بيتر مارتين و شومان حين وضحا نوعية العلاقة الارتباطية الوثيقة بين العولمة و النمو المطرد للفقر والتهميش و اتساع دائرة المحرومين في جميع أنحاء العالم لينقسم هذا الأخير في النهاية إلى مجموعتين متباينتين: الخمس الثري و الذي يعادل نسبة 20٪ من سكان العالم و أربعة أخماس الفقراء و هو ما يعادل نسبة 80٪ من سكان العالم و من المتوقع أن يزداد الوضع سوءا في السنوات القليلة القادمة و يتضاعف عدد السكان الفقراء فهناك "20٪ من دول العالم تستحوذ على 85٪ من الناتج الإجمالي و على 84٪ من التجارة العالمية، و يمتلك سكانها 85٪ من مجموع المدخرات العالمية"(16). فالعولمة تعمل على "زيادة الأغنياء غنى، و تجعل الفقراء أكثر فقرا، و اقل اعتماد على أنفسهم، و أكثر بؤسا"(17).

**3- على الصعيد الثقافي:**

وتواجه معظم المجتمعات و الشعوب كما كبيرا من القيم و المفاهيم وأفكار العولمة، فلقد سخر النظام الرأسمالي العالمي كل الوسائل لنشر ثقافة العولمة و خاصة مع التطور السريع لوسائل الإعلام و الاتصال بمختلف أنواعها و التي تسيطر أمريكا على 65٪ منها و بالتحديد شبكة المعلومات العالمية الانترنيت التي تعتبر إحدى مرتكزات ظاهرة العولمة و أداتها المرشحة بامتياز لنشر أفكارها و أيديولوجيتها وكوننة نموذج للإنتاج و الاستهلاك الغربي – الأمريكي و خصوصا في المجال الثقافي الذي يعتبر من أهم المجالات التي

يركز عليها فكر العولمة، و بالتالي تكون هناك طريقة واحدة في التفكير والسلوك نظرا لتلقي نفس القيم و المعايير الثقافية، وما يخالف القيم و العادات و أنماط السلوك الغربية و الأمريكية خصوصا فهو هجين و مستقبح، و هذا ما أشار إليه S.P.Huntington في كتابه ( صراع الحضارات ) حين تنبأ بأن العالم سيتوجه نحو حرب حضارية تكون فيها القيم الثقافية و الرمزية هي الحدود القتالية حيث تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى محاولة تثبيت و نشر ثقافة عالمية أمريكية لها قيمها و عاداتها و معاييرها لتصبح هي الثقافة المهيمنة في كل أنحاء العالم باعتبارها النموذج الوحيد و الأمثل للتطور و العلم والرقي، ويعرف عبد الإله بلقزيز ثقافة العولمة هذه بأنها " فعل اغتصابي ثقافي و عدواني رمزي على سائر الثقافات، إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف –المسلح بالتقانة- فيهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة"(18) و هذا ما يبرز لنا شكلا آخر من أشكال العنف الذي تطوره العولمة و هو العنف الثقافي الذي يقوم على الإنكار والإقصاء لثقافة الغير، وعلى الاستعلاء و المركزية الذاتية في الرؤية وهذا ما يزيد في عمق الهوة و يخلق ردود فعل عنيفة كالحروب الأهلية و النزاعات الداخلية بين العناصر الثقافية الأصلية للمجتمعات و العناصر الثقافية الدخيلة، نتيجة التصادم الثقافي داخل الكثير من البلدان في الشرق و الغرب.

**خاتمة:**

من هنا يمكن القول أن قيم العولمة وطابعها الممارس لم تستجب كلها لتطلعات الشعوب ، و لم تجلب للإنسانية لا الأمن و لا الاستقرار و لا العدالة ، إذ أنها تقوم على منطق الدفاع عن الاستغلال باسم الحرية كما يقول" بورديو" مما أدى إلى ظهور ملامح وضع دولي معقد تسوده الصراعات و النزاعات على جميع الأصعدة و المستويات ، و لقد وفرت العولمة لنفسها غطاء الشرعية

لأكثر الأحكام تعسفا و استبدادا مما أدى إلى استفحال و ترسيخ ظاهرة العنف و الجريمة و اتساع رقعتها و تعدد مظاهرها خصوصا على الدول العالمثالثية، وأصبح الواقع المعيش الذي يميز شعوب كثيرة متقدمة و متخلفة على السواء، يكشف لا محالة عن الوجه الآخر لظاهرة العولمة ، وذلك لأن صورا جديدة من العنف أضيفت لظاهرة قديمة (ظاهرة العنف) مرتبطة أصلا بقيم الحضارة الجديدة التي تسعى الدول المتقدمة و في مقدمتها الولايات المتحدة إلى ترسيخها أو بالأحرى تفرضها على البشرية قاطبة . فالفرق شاسع بين عولمة التقدم والتضامن بين الفئات الاجتماعية ضمن المجتمع الواحد و التضامن بين الشعوب و الاعتراف بالآخر و احترام حقوقه و بين عولمة مافياوية تقطف ثمارها فئة من السماسرة و تقذف بلدان بأسرها في آتون التفكك و الفوضى وتؤجج نار الحقد و الكراهية و توسع و ترسخ بقوة ظواهر العنف و الجريمة اللذين أصبحا يمثلان بحق مرض العصر.

**المراجع :**


1- Hicham El Alaoui: Le monde arabe au pied du mur.
Article paru dans le Monde Diplomatique , Octobre 2003, p 18.

2- عبد الرحمن تيشوري: "العولمة ترويج للعصر الأمريكي".

جريدة الحوار المتمدن، العدد 1404 الصادرة في 19-12-2005 على الموقع الالكتروني:
www.rezgar.com/debat/

3- مرتضى عياش: "العولمة رؤى و مخاطر".

مجلة النبأ، العدد35، السنة الخامسة، ربيع الثاني 1420 على الموقع الالكتروني:
www.annabaa.org

4- R.D.Laing&G.Cooper: Reason and violence, a decade of Sartre's philosophy 1950-1960, London1971, p101.

5- عبد القادر رزيق المخادمي: النظام الدولي الجديد.

ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر- الطبعة الثالثة 2006، ص60.

6- مبدأ بوش تقرر من خلال وثيقة إستراتيجية الأمن القومي الصادرة في 20-09-2002 و التي تنص على عدة بنود هي :

* - تعزيز الكرامة الإنسانية.

* - التحالفات الإستراتيجية للقضاء على الإرهاب.

* - نزع فتيل الصراعات الإقليمية.

* - منع أعدائنا من تهديدنا.

* - تدشين عهد اقتصادي جديد.

* - توسيع دائرة التنمية و التعاون مع المؤسسات المركزية.

* - تطوير مؤسسات الأمن القومي الأمريكي.

7- السيد ولد أباه: اتجاهات العولمة-إشكالات الألفية الجديدة- المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى 2001، ص81.

8- السيد يسين: المعلوماتية و حضارة العولمة-رؤية نقدية عربية- دار النهضة المصرية، 2000، ص118.

9- السيد ولد أباه: مرجع سابق، صص 57- 58.

10- المرجع نفسه، صص 79-80.

11- Hicham El Alaoui: Ibid

12- معقل زهور عدي: "العولمة و أفول الدولة القطرية". مجلة الحوار المتمدن العدد 1100 على الموقع الإلكتروني: www.rezgar.com

13- عبد القادر رزيق المخادمي: مرجع سابق، ص 61.

14- محمد ادم: "العولمة و اثرها على اقتصاديات الدول الاسلامية". مجلة النبأ، العدد42، السنة الخامسة، شباط 2000. على الموقع الالكتروني:

www.annabaa.org
15- أحمد سعد: "عولمة الثراء و فقر العولمة".
على الموقع الإلكتروني : www.mostakbaliat.com
16- هانس بيتر مارتين، هارولد شومان: فخ العولمة- الاعتداء على الديمقراطية و الرفاهية-
عالم المعرفة، العدد 238، 1998، ص11.
17- إسماعيل قيرّة و آخرون: العولمة و الاقتصاد غير الرسمي.
دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، 2004، ص148.
18- عبد الإله بلقزيز: "العولمة و الهوية الثقافية-عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة-"
مجلة المستقبل العربي، العدد 229، مارس 1998، ص98.